بقلم: اديث كورزويل
ترجمة: عبد النبي اصطيف

# عصر البنيوية ـ مدخل

يقول هـ ، ستيوارت هيوز H. Stuart Hughes
« بدأ الفكر الاجتماعي الفرنسي لسنوات الياس بالتاريخ وانتهى بالأنتروبولوجيا » . وبوجه أكثر دقة ، لقد تغير بالاحرى ولم ينته في عام ١٩٥٥ بنشر « المدار الحزين » أنتروبولوجيا السيرة الذاتية لليفي ستروس Levi - Strauss ، فالكتاب لم يجعله مشهورا فقط ، بل مهد الطريق لكتابه « الانتربولوجيا البنيوية »

---

(*) Edith Kurzweil, The Age of Structuralism : Levi - Strauss to Foucault, Columbia University Press, 1980 , PP . 1-11.

Structural Anthropology ١٩٥٨ ، ولقبول البنيوية : ( تلك ) المحاولة المنظمة لكشف البنى الذهنية العميقة العامة ، كما تظهر نفسها في القرابة والبنى الاجتماعية الاكبر ، في الادب والفلسفة والرياضيات ، وفي النماذج النفسية اللاواعية التي تحفز السلوك الانساني(١) . ومنذ ذلك الحين ، اخذت نظرية البنيوية ومنهاجها كلاهما جملة من الاشكال : بعضهم يستخدم جزئيا منهج ستروس ، وبعضهم يتجاوزه ، ويظل آخرون يطبقون مكونات معينة من النظرية الصوتية . ولكن بما أن ليفي ستروس كان أول من كيّف اللغويات السوسرية للعلوم الاجتماعية ، فانني اختبر الآخرين بالقياس الى افكاره ، وانا اركز ــ وخاصة في خاتمتي ــ على فهمه لفرويد وماركس وسوسور ، وعلى الاختلافات الفكرية التي ولدتها التحليلات البنيوية .

وبما أن هذه النظرة المجملة لا تقدم البنيوية من منظور علم واحد ، فانني اخترت شخصيات تتبع لمعارف مختلفة . وهكذا فليس جميع المفكرين الثمانية ــ الذين خصصت لهم الفصول ــ بنيويين أو كانوا بنيويين ، بل ان كل واحد منهم يمثل انحيازات ومناهج ونظريات للاشارة معينة ، وهم يختلفون في المضمون واللهجة ، وانا ابغي أن انقل هذه اللهجات المختلفة وبعضا من اللغة « الصعبة » . فزلاقة اللسان المفرطة واللعوبة لبارت ــ على سبيل المثال ــ لا يمكن أن تمضي دون ذكر . ومثالية لوفاثر وسخريته لا يمكن أن توصفا باللغة ( التي تستخدم في وصف ) بيمارستانات فوكو ومشافيه المخصصة للمجذومين واسطوريات لا كان في « الفصوص اللاواعية » ينبغي رؤيتها في مقابل الاساطير المحكومة بثقافة البدائيين عند ستروس . فبودون ــ على سبيل المثال ــ يميز بين

---

(١) هذا التحديد للبنيوية الباريسية يترك جانبا مدخل تشومسكي « البنيوي » للنحو والذي يسلم بوجود بنى ( عميقة وتوليدية ) عالية في الافراد تهيئهم للاستخدام الصحيح للفاتهم الاصلية . وهو لا يخاطب بنيوية بياجيه ــ التي قيل انها منهاج وليست مذهبا ( متصلا باية مناهج اخرى ) ــ التي تزعم أن البنيوية والتكوين يتوقفان على بعضهما بعضا . اي أن ليس هناك من بنية بمعزل عن الانشاء .

البنيوية المنهجية والبنيوية الفلسفية للعلوم الانسانية ، على الرغم من ان ستروس يستخدم كلتيهما ، وهو يضيف :

« ان التخبط يبدو محدودا جغرافيا ، فهاريس او تشومسكي ــ وهما بنيويان كليفي ستروس على المستوى المنهجي ــ لا يخرجان بنتيجة فلسفية معينة من اعمالهما العادية » .

ان العصر البنيوي في باريس قد انتهى تقريبا . ورغم ذلك فالافتراضات البنيوية تستمر في تخللها للتفكير الفرنسي ، مقدمة الاساس لما بعد البنيوية . وحتى وقت متأخر ، لم يعر الفكر البنيوي الامريكيون ــ باستثناء الانتروبولوجيين ــ اي اهتمام للفكر البنيوي الفرنسي ، رغم انه يدرس بشكل متزايد في اقسام الادب . ولكن عددا متزايدا من مثقفينا ــ الذين رفضوا البنيوية في البداية على انها هامشية او عديمة الجدوى او عويصة ، يريدون الآن ان يعرفوا عنها . وعلى اي حال لقد غدت فعلا جزءا من التاريخ الفكري .

لقد مر الفكر الفرنسي منذ الحرب العالمية الثانية في مراحل عدة . فخلال المقاومة وبعد التحرير مباشرة ، شغلت الماركسية تفكير المثقفين الفرنسيين ، وبعدها ، وفي جو من الخيبة المتزايدة من الاتحاد السوفييتي والشيوعية ، وعدت وجودية سارتر الانسانية ان تسمح بالتحقق الذاتي للفرد في المجتمع الحديث . ولكن عندما اعلن سارتر ــ وخاصة بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٦ ــ ولاءه للنزعة الانسانية متابعا في الوقت نفسه دعمه للشيوعيين ( متجاهلا الكبت في الاتحاد السوفييتي ) اصبحت نظرياته عرضة للشك . وهكذا غدا ممكنا للبنيوية وللنظريات الجديدة في اللغويات والسيميائيات ان تزداد اندفاعا . ولكن لا يمكن القول بوجود تتابع واضح المعالم . فجميع هذه الفلسفات وجدت ــ الى حد ما ــ الى جانب بعضها بعضا وتبادلت التأثير فيما بينها . والواقع ان تأثير الماركسية قد استمر بأشكال عديدة بينة وغامضة معا . وهكذا فعلى الرغم من اعتماد الوجودية والبنيوية على افتراضات مختلفة جدا حول طبيعة الانسان والمجتمع ،

فان كثيرا من المواقف الماركسية تجاه العدل الاقتصادي والتغير الاجتماعي قد ظهرت في نظريات وجوديين وبنيويين وسيميائيين مختلفين ، مع العلم ان هؤلاء الذين يعلنون ولاءهم لهذه النظريات ينظرون الى انفسهم على انهم غير ماركسيين او معادون للشيوعية . وفي الوقت نفسه ، فانه سيلاحظ ان بقايا ــ او مؤثرات ــ الوجودية او الماركسية او كلتيهما معا لا تزال موجودة في اعمال شخصيات مختلفة كبارت ، وفوكو ، ولاكان ، وليفي ستروس وآخرين .

على الرغم من ان البنيوية كانت غير سياسية ، فقد كان لها تضمنات سياسية عريضة ــ تضمنات لم تكن ظاهرة على نحو مباشر ، وكانت تؤول الى الضياع في تشعبات البنيوية ومناقشاتها نفسها . وبالاضافة الى تاثير البنيوية على عدد من المعارف الفكرية ، فانها زودت اليسار الفرنسي في البداية بنظرية شبه سياسية لم ترفض ميولهم الاشتراكية ، ولكنها ابعدتهم عن الاتصال المباشر بالماركسية .

لقد كان اليسار الفرنسي في منتصف الخمسينات اساسا يعاني عذابات الماركسيين الامريكيين وصراعاتهم التي تحملوها في الثلاثينات والاربعينات . ومع حلول الخمسينات ما عاد بامكان المثقفين الفرنسيين الثوريين ان يتجنبوا الاعتراف بالواقع المقيت للشيوعية الروسية والذي جسد بصورة صارخة اخفاق التجربة الماركسية . وفي فرنسا ــ على اي حال ــ كان هذا التحول عن الماركسية السوفياتية اكثر من انشقاق ايديولوجي ، لانه اخل بالتحالفات السياسية العريقة ايضا . لقد كان الشيوعيون الفرنسيون ــ على خلاف نظرائهم الامريكيين ــ يعملون من قاعدة سياسية عريضة ، ويتمتعون بدعم نقابي قوي . ان شعبية اليسار اخفت ما كان في الواقع اختلافات خطيرة بين الشيوعيين والاشتراكيين والثوريين ، وجعلت التمييزات فيما بينهم غير واضحة . وبعدها ، ومع ازدياد حدة الحرب الباردة ونمو التحرر من وهم الشيوعية السوفياتية ، بدا شبيه الوحدة الايديولوجية الذي حالف بين المثقفين وجماعات العمال والنواب البرلمانيين بالتفكك .

وبينما كان هذا الانشقاق الواسع الانتشار تقريبا مع الماركسية السوفياتية يحدث ، غدا المثقفون الفرنسيون الجذريون ، وعلى نحو متزايد ، أكثر تحررا من سحر الوجودية . والواقع أن رابط الوجوديين كان دائما ضعيفا . فكبار كهان الوجودية اختلفوا منذ البداية . يقول سارتر ــ على سبيل المثال ــ عن نفسه وميرلو ــ بونتي .

« واذ كنا جد فرديين لنشترك ابدا في الاسهام في بحثنا ، فقد أصبحنا متبادلين رغم بقائنا منفصلين ، واقتنع كل واحد منا على انفراد وبسهولة انه قد فهم فكرة علم الظواهر . لقد كنا معا ــ كل بالنسبة الى الآخر ــ تجسيدا لغموضها . ونظر كل واحد منا الى عمل الآخر على انه انحراف غير متوقع ومعاد احيانا لعمله . لقد اصبح هوسرل ارتباطنا وانقسامنا معا وفي الوقت نفسه »(٣) .

ويتابع سارتر ان اقوى ارتباط فيما بين الوجوديين كان في الحقيقة الكراهية المشتركة للنازيين . وعندما ذاب المسوغ السياسي اساسا ، غدت هشاشة الرابطة الايديولوجية بين الوجوديين واضحة . وبالطبع فليس من المستغرب أن تثبت الوجودية ــ وهي فلسفة تعير الغايات الفردية قيمة عليا ــ انها اساس مقلقل للتماسك الايديولوجي . وعلى اي حال ، كان الوقت مناسبا بحلول منتصف الخمسينات لظهور حركة جديدة تتجاوز الوجودية التي كانت اكثر ذاتية وارتباطا بالحرية الفردية من أن تتحمل ثقل الاعباء الاجتماعية التي حملتها . وما عاد بامكان الوجودية أن تعد بتجاوز الشكوك السياسية والايديولوجية التي خلقتها حاجة الانفصال عن الشيوعية السوفياتية .

لقد بدا أن مجيء البنيوية ــ على الاقل بالنسبة الى انصارها ــ يقدم مهربا فكريا مشرفا من مواجهة محدودية الماركسية والوجودية كلتيهما . وكان احد اثار تأكيدها الفلسفي العريض ــ في النظر الى الواقع الاجتماعي في النهاية كتفاعل بين بنى ذهنية عامة غير واعية بعد ــ تحويل المثقفين الفرنسيين من المشكلات السياسية والنظريات التي شغلت الماركسيين ، والى حد ما ، والوجوديين . لقد وجد اولئك الذين انجرفوا في المناقشات البنيوية وسيلة للتخلي عن جذريتهم دون ان يهجروا

معتقداتهم الانسانية . فتعقيدات المناهج البنيوية نفسها طمست حقيقة ان البنيوية ستغدو نزعة المحافظة الجديدة لليسار .

ولم يكن هذا التحيز السياسي واضحا عندما بدأ ليفي ستروس بتطوير المنهج الذي كان ليشرح الوعي عن طريق الحياة ، كما فعل ماركس ، والذي كان ليساعد في الوقت نفسه على حل لغز اللاوعي الجمعي الفرويدوي بمساعدة علم العلامات ـ ذلك العلم الذي يدرس حياة العلامات ضمن المجتمع ـ مؤكدا اعتباطيتها ، ومفترضا علاقة بين خصائصها المتعلقة بالدال والمدلول . لقد أضيفت توضيحات من النظريات اللغوية ( ياكبسون ، وهيلمسليف ومارتيني ) الى النظرية السوسرية وغدت الاساس للمناهج البنيوية . وكان لتقنيات كشف القوانين العامة للغة وصلاتها بكل مناطق النشاط الانساني الاخرى ـ اذا ما نجحت ـ ان تكشف في النهاية عالمية انسانية . وهكذا بقي المنهج نفسه جزءا من المشروع البنيوي وكان بالتالي ملازما لانبثاق هذه البنى الذهنية المفترضة. وبما أن الطبيعة الشاملة للبنيوية قد أثارت الانتباه ، فان مفكرين معنيين اقاموا انظمتهم البنيوية الكاملة الخاصة بهم ، وانظمة نظيرة ، وأثر جميعهم في الحياة السياسية والاجتماعية الفرنسية .

ينبغي ان اذكر في البداية انه على الرغم من ان المثقفين الفرنسيين يتصورون على نحو مخلخل كمجموعة ، فان كثيرين منهم سوف ينكرون انهم يشكلون مجموعة على الاطلاق . وسيشيرون الى اختلافاتهم ، والى خلافاتهم السياسية والايديولوجية والى أسسهم المعرفية المتباينة . ورغم ذلك ، فانهم يشتركون فيما بينهم على الاقل بمقدار ما يشترك اولئك الذين ندعوهم على نحو من التساهل بمؤسسة نيويورك الفكرية القائمة . فكثيرون من المجموعة الفرنسية ذهبوا الى معهد Ecole Normale Supérievre ، وجميعهم تمرسوا بالفلسفة ويشتركون في إلفة الباحث لأعمال ديكارت ، وكانت ، وهيغل ، وهوسرل وكيركيغارد ، وتأثروا بمدرسة مجلة Annales ( أسسها مارك بلوك ، ولوسيان ڤافر في عام ١٩٢٩ ) و « البحر المتوسط » لفرنارد بروديل ـ كمصادر لتصور للتاريخ على انه دراسة لزمانيات متعددة تمتد ليوم ، لاسبوع ، لسنة ، وحتى لفترة طويلة تضم عددا من القرون . وبسبب من ان المثقفين

الفرنسيين قد انغمسوا في الانسانيات والتاريخ ، فان صفوفهم لم تتوزع تبعا لعلوم معينة بالطريقة التي يتشظى بها الجامعيون الامريكيون غالبا . ولما كان معظمهم قد درس في باريس ، فانهم يعرفون بعضهم بعضا ، او على الاقل هم قد سمعوا ببعضهم البعض . وهم عموميون بالتقليد والطبع ، واختصاصاتهم ينظر اليها دائما على انها روافد لمصدر مشترك للمعرفة وليس على انها مطورة لمناطق جديدة من الدراسة .

في المسح الذي يتبع ، سأتفحص افكار بعض الشخصيات البارزة ضمن الجماعة : بنيوية كلود ليفي ـ ستروس ، وماركسية لوي التوسر العلمية ، وماركسية هنري لوفافر المثالية ، وظاهرية ريكور ، وعلم اجتماع الان تورين التاريخي ، والتحليل النفسي لجاك لاكان ، والنقد الادبي لرولاند بارت ، والتاريخ الاجتماعي لفوكو . ولما كانت افكارهم ـ على عدة مستويات ، احيانا استجابات لبعضهم البعض ، ولأحداث ، فقد نظمت الفصول تقريبا تبعا للزمن الذي اثار فيه هؤلاء الرجال الاهتمام العام . ولكني سأركز خلالها جميعا على المناقشات وعلى السياق الاوسع للمشروع البنيوي .

ورغم ان لوفافر ، وريكور ، وتورين لم يكونوا قط بنيويين ، فاني ضممت هؤلاء المناهضين للفكر البنيوي كتمثيل للحركات الفكرية الرئيسية المنافسة للبنيوية . وهم بصفتهم هذه يحيطون بالعصر البنيوي . وقد يحاج بعضهم في ان دراسات سيرغي موسكوفيتشي في التحليل النفسي والطبيعة الانسانية ، او ان عمل ادغار موران في الثقافة الشعبية ، مهمة بقدر اهمية اسهامات تورين ، او ان بورديو وبودون ـ كناقدين مباشرين واكثر فاعلية للبنيوية ـ ينبغي ان يأخذا مكان تورين . وربما يزعم آخرون ان جاك ديريدا الذي حلت سيمائيات ( النظرية الفلسفية العامة للعلامات والرموز ) والتي تتناول وظائفها ( اي العلامات ) في اللغات الطبيعية والتي نظمت صناعيا ) محل علم العلامات ( العلم الذي يبين ما الذي يكون العلامات وما القوانين التي تحكمها ) ينبغي شمله ، او ان لاهتمام أ ، ج . غريماس البنيوي بعلم الدلالة ، وبالبنية السردية ، والمشهد ـ اللفظ ، اهمية علم العلامات عند بارت . وربما

يعترض آخرون لان بنيوية لوسيان غولدمان Lucien التطورية لا تحظى باهتمام كاف . ولكن اسباب اختياري النهائي وتأكيداتي ستصبح اكثر وضوحا مع تقدمنا . ان هذا الكتاب اساسا هو نظرة كلية للحقبة البنيوية للقراء الذين ربما كانوا على معرفة بأفكار واحد او اكثر من هذه الشخصيات ، ولكنهم لم يعيروا اهتماما اكثر للنقاشات المحيطة ، انه لتقديم « الحلقات المفقودة » للبنيوية التي وصلت القمة في اواخر الستينات ؛ وافكار التاريخ والتحليل النفسي ، وعلم النفس ، والنظرية سوف تواجه على طول الطريق .

ان بؤرة التركيز وحقل الاهتمام ــ الخليط المعين للنزعة الانسانية والعلم ــ لكل من الشخصيات التي اخترتها مختلفان . فليفي ستروس وريكور ولوڤافر والتوسر فلاسفة ، ولكن ليفي ستروس هو أنتروبولوجي ايضا ، وريكور لاهوتي ، ولوڤافر عالم اجتماع ، والتوسر ماركسي علمي. ان علم اجتماع تورين مكون من الادب والتاريخ ، في حين ان بارت ، وهو نمط خاص جدا لناقد الادب ، يشير مرارا الى علم اجتماعه الخاص به والى تقديره لماركس . وقراءة لاكان لفرويد ومعالجة فوكو للانحراف كلتاهما تشمل الادب والتحليل النفسي ، والتاريخ والفلسفة . وعلى خلاف التجريبيين الانكلو ــ سكسونيين ، فان المثقفين الفرنسيين يجمعون بين علوم مختلفة ويفترضون ان جمهورهم ايضا ملم بالفلسفة والادب والتاريخ .

وقد لاحظ ن . س ، تروبتسكي مبكرا في عام ١٩٣٣ ان المساعي البنيوية المتميزة بعالمية نظامية كانت شائعة في الكيمياء وعلم الاحياء وعلم النفس والاقتصاد شيوعها في الدراسات اللغوية ؛ ولكن ليڤي ستروس لم يفكر في المنهاج الذي يسمح له بتطبيق البنيوية على الانتروبولوجيا الا في أواخر الاربعينات . فقد سعى عن طريق الكشف المنظم عن معاني الاساطير القبلية (في شمالي امريكا وجنوبها) ، من خلال تفحص التضادات والتحولات اللغوية في اللغة المحكية ، الى شرح كيفية حدوث التحولات في الثقافة وفي فهم الفرد للواقع الاجتماعي .

وركز ريكور أيضا على التضادات في اللغة ، وخاصة ، الوجوه الثنائية للاستعارة والكناية عندما واجه في البداية نظريات ليفي ستروس في أوائل الستينات . ولكن ريكور غير معني باللغة أو الفكر المجازي ذاته . فهو يحاول ــ عوضا عن هذا ــ أن يشرح لماذا أنشئت الاساطير بادىء ذي بدء ليكتشف الظواهر ما فوق الطبيعية التي تحاول أن تشرحها ، أو كيف تتوقع أن تقرب الفجوة بين وجود الفرد والله . أن هذا الاهتمام الديني يعزله عن جميع الشخصيات الاخرى في الكتاب .

ويهاجم لوڤافر على وجه خاص جدل ريكور بين الانسان والله ، لانه ــ كما يقول ــ ينقل الفكر كله الى تأويلاته . وهو يبطل معتقدات لوڤافر الماركسية الخاصة به أيضا . ولكن « ترجمات » لوڤافر الماركسية للغويات البنيوية ــ عندما تسلم بكون السلع ( البضائع المادية ) علامات سوسرية معقدة في مقابل السلع / الرسائل ( الاعلان للمستهلكين ) كدلائل ــ رفضت على أنها مبتذلة وغير قابلة للتطبيق من قبل الماركسيين الآخرين . على أي حال ، لقد ترك لوڤافر هذه المشاغل اللغوية بعد اهتمامه القصير بها حوالي عام ١٩٦٣ ، عندما تحول تركيزه الى علم اجتماع التمدن والفضاء . ان هذه النظريات الاخيرة أكثر تمثيلا لماركسيته الطوباوية غير المتذبذبة والتي قيل انها ألهت ثورات الطلاب جزئيا عام ١٩٦٨ . ولكن عدم امتلاك لوڤافر لبرنامج واعتماده على نظريات الشك العفوي لجميع البنى البرجوازية قد هاجمها التوسر باسم الماركسية العلمية .

ويرفض التوسر أعمال ماركس « الانسانية » الاولى والتي يؤيدها لوڤافر على أنها ملازمة لماركس ــ كل شيء كتب حتى عام ١٨٤٤ بما فيها **مخطوطات ١٨٤٤** ــ ويعتبر **« الايديولوجيا الألمانية »** عملا انتقاليا . وهو يمجد عوضا عن ذلك ماركس **« الناضج »** الذي تناول ــ تبعا لألتوسر ــ الاقتصاد السياسي على حدة . ويعجب التوسر ــ في الوقت نفسه ــ بأفكار لينين المتعلقة بالسيطرة على الدولة . وهو يريد أن يتوسع فيما حاول لينين ا نيقوم به عن طريق الاستشراق النظري للمشكلات العملية للثورة المرتقبة . وحتى يتخلص التوسر حتى من بقايا العادات البرجوازية

في التفكير ، فانه تساءل في عام ١٩٦٢ كيف يمكن القضاء على هـذه العادات بعد الثورة الاشتراكية . وقد قاده هذا الاهتمام الى تفحص تفسير لاكان لفرويد على امل اكتشاف طريقة لاعادة تربية الآباء والاطفال في المجتمع ما بعد البرجوازي . **والقول الجديد للاّوعي** والذي نسبه التوسر لماركس وفرويد ونيتشه كان ليساعد في تنفيذ ثورة ناجحة . ولكن لوقافر رأى في ماركس وفرويد ونيتشه رواد فكر لتتابع الفكر المحتوم قبـل الثورة . وحاول ريكور ـ ان يتوسط بين **أبطال الشـك** هؤلاء ليدمجهم في نظامه التأويلي .

ان لاكان أقل اهتماما بالثورة الاجتماعية منه بتثوير تفسير اللاوعي. فاللاوعي بالنسبة الى لاكان هو نص ينبغي حله ، نص يضرب بجذوره في اللغة . « **انـه الجزء من القول المحسوس الذي لايخضع للذات عند اعادة انشاء استمرارية قوله الواعي** » ويتابع لاكان ولكن هذا « الفصل الممنوع » من تاريخ الفرد يمكن أن يعاد اكتشافه ـ في أعراض هيستيرية، وفي ذكريات الطفولة وفي التقاليد ـ عن طريق حل بنى اللغة . وهكذا فان لاكان يركز على تحول المعنى والاصوات وعلى الرمزية في حالة التحليل النفسي ، دامجا مناهج اللغويات البنيوية بالتحليل النفسي . ومحاضراته وعلى الشاشة الصغيرة يمكن ان يكون لها فضل اشاعة التحليل النفسي في فرنسا منذ الستينات بعد أن تضاءل تأثيره في الولايات المتحدة .

ومحاضرات فوكو مرغوبة بالدرجة نفسها ، ولكن تركيزه ينصب على الصلات الخفية بين المؤسسات الاجتماعية والافكار والعادات وعلاقات السلطة وخاصة على تحولات السياق الاجتماعي منذ القرن السابع عشر، وهو يحاول أن يكشف عن قوانين المجتمعات في المعرفة والتي قيل انها في عملية تحول مستمرة . ويعير فوكو انتباها خاصا للطريقة التي يعدل فيها التحول في تعريف الطبيعية والانحراف بنية المجتمع . وسواء أكان يكتب عن الجنون أو المرض أو الجريمة أو الجنس ، فانه يظهر دائما ـ بمساعدة الاضداد والتحولات البنيوية الجديدة ـ ان لاولئك الذين يتولون السلطة قوانين أو برامج عمل خفية تكمن وراء قوانين المعرفة العلمية . ويحاج فوكو في أن هذه القوانين تحجب الكبت في المجتمعات البرجوازية الحديثة.

وقد اكسبت فوكو رؤاه الجريئة والمتألقة غالبا مكانا مركزيا في الفترة التي ساد فيها البنيويون ، رغم انه قد انكر منذ عام ١٩٦٨ انه بنيوي .

وقد كان بارت جسورا ايضا في هجومه على المعتقدات القائمة ، وخاصة في عالم النقد الادبي . ونظر اصلا الى البنيوية على انها نشاط ، فحاول ان يتبنى المنهج البنيوي في علم علاماته ، دون أن يسعى الى تسويغ مدركاته النظرية . ورغم انه قد تخلى الآن عن هذا المنهج لصالح نوع ذاتي جدا و ــ كما يسميه ــ جنسي من النقد ، فان المخلفات البنيوية تبقى .

والشخصية المركزية الوحيدة في كتابي والتي يبدو انها بقيت غير متأثرة تقريبا بالوجه اللغوي للبنيوية هي تورين . فتأكيده هو على الحركات الاجتماعية ، والتغيرات في البنية الاجتماعية وعلى الشروط التاريخية التي تؤدي بالافراد الى القيام بالثورات . ورغم ذلك فان علم الاجتماع التجريبي عند تورين يدمج القضايا الفلسفية نفسها التي تواجهها الشخصيات الاخرى . وتقديره لاضرابات ١٩٦٨ ليس على خلاف تقديرات لوفافر ولاكان ، ولكن تورين مشغول اساسا بطبيعة العمل الاجتماعي ولا يواجه الفكر البنيوي الا بشكل هامشي .

واليوم وبعد ما يقرب من خمسة وعشرين عاما على ظهور البنيوية ؛ التي كانت « لتكتشف التماسك التحتي الذي لايمكن كشفه من خلال الوصف البسيط للحقائق التي سطحت على نحو ما وتبعثرت دون نظام» ، تبدو انها تجووزت . وكما سنرى في الفصول اللاحقة ، فان التوسر وفوكو وبارت قد ارتدوا عن بنويتهم . وبحلول عام ١٩٧١ تخلى ليڤي ستروس عن معظم تلامذته الجدد ، على الرغم من انهم لا يستطيعون البرؤ منه كلية دون ان يقللوا وعلى نحو خطير من شأن رصيدهم . لقد عاد هو نفسه الى اهتماماته المبكرة ، الى الفلسفة والى اهتمامات اكثر ضيقا كبنى القرابة والاسطورة . ولكن حتى اذا ما شكك الى حد بعيد بالبنيوية في صيغها الاصلية ، أو اذا ما انزلت الى مرتبة عالم المدن الفاضلة ، فان منهاجها المعقد ما يزال مصدره الهام . لقد نقشت نفسها

على عـدد من المعارف . فالنقد الادبي لبارت ، وتأويلات ريكور ، وتحليلات فوكو للقوة وللانحراف وعلم قواعد ديريدا ، وتحليل لاكان النفسي ، كلها تحمل علامات « النظرية الكبرى ، الاصلية لقد خلفت البنيوية علامتها على التراث الفكري وهي تتابع التأثيرفي الباحثين وخاصة في حقل السيميائيات واللغويات في فرنسا وفي علوم معينة في امريكا .

وفي اية نظرة مجملة كهذه ، فان على المرء ان يبسط بالضرورة . ولكن المثقفين الفرنسيين غير مبالين ـ كما هو شأننا ـ الى فصل اسهاماتهم العلمية عن تواريخهم الشخصية . ولذا كان من الاكثر قبولا لخبرات الطفولة أو للتداعي الحر المنظم أن تصبح جزءا من الملاحظات النظرية . ومدخل نقدي لاعمالهم يخاطر بالتالي بخرق تعقيد متأصل فريد يندر وجوده مثلا في المفكرين الانكليز أو الألمان أو الامريكيين . ومع هذا فاني آمل أن اشرح القول البنيوي دون التقليل من صلاحيته النظرية او من نكهته الشخصية من أجل وضوح سطحي . ولأن من المعتقد ان للبنيوية ميلا محافظا ، فانني سأشير الى بصماتها السياسية ( اولئك الذين يعتنقون النظريات البنيوية لا يعلنون انهم سياسيون أو حتى بنيويين ) . واخيرا فاني آمل أن اقدم منظورا للنقاش البنيوي الذي سيضيق الفجوة بين الحدود التقليدية للمعارف الاكاديمية .

ان البنيوية كما تصورها ليفي ستروس اصلا هي ميتة . فالبنى الذهنية العالمية لم تنبثق ـ رغم ان احدا لايبحث عنها الآن . ولكن دون هذه السابقة البنيوية ، فان جوليا كريستيفا Julia ـ على سبيل المثال ـ ربما ما كانت لتحاج في الامكانيات الثورية للسيماء التي قيل انها تواجه الجدل الرمزي للمعنى والبنية . وربما ما كان لديريدا ان يقترح علم قواعد « كعلم » للعلامة المكتوبة. وربما ما كان لدولوز وڤاتاري أن يخترعا المعادي لأوويب Anti - Qedipus الخاص بهما دون التأثير الواسع في باريس للدراما الاوربية اللاكانية ، والتي اكتشفت عندما دخل الطفل عالمنا الرمزي واللغوي . وهكذا فان إخفاق البنيوية الباريسية نفسه قد مهد الأرض لمختلف ما « بعد البنيويات » .

★ ★ ★